رأي القدس

نبيه بري والتراجع الصحيح

■ العدوان الاسرائيلي على لبنان سينتهي حتماً بعد ايام او اسابيع او اشهر وستتوقف المعارك، وبعدها من المفترض ان تبدأ المفاوضات بشأن تبادل الاسرى بين «حزب الله» وحركة «حماس» من ناحية، والاسرائيليين من الناحية الاخرى، وبوساطة دولية.

حزب الله فوض السيد نبيه بري رئيس مجلس النواب اللبناني لتمثيله في اي عملية تفاوضية مستقبلية، وكانت أول خطوة أقدم عليها اعطاء لقاء لقناة «الجزيرة» اعلن فيه انه سيتفاوض على اطلاق سراح الأسرى اللبنانيين في سجون الاحتلال، ولن يتطرق لموضوع الاسرى العرب الآخرين، والفلسطينيين منهم على وجه الخصوص.

هذه التصريحات اثارت صدمة في اوساط العديد من الفلسطينيين الذين وجدوا في عمليات المقاومة اللبنانية وصمودها في وجه العدوان الاسرائيلي لحظة تاريخية اعادت الاعتبار للأمة العربية، وروح التضحية فيها. ولم يخفف من خيبة الأمل هذه لدى الفلسطينيين تراجع السيد بري في حديث آخر لـ«الجزيرة»، قال فيه انه سحب تصريحاته السابقة حول تبادل الاسرى بعد مجزرة قانا التي ارتكبتها القوات الاسرائيلية.

فالفلسطينيون يؤمنون بوحدة المسارات التفاوضية، وكانوا الأكثر معارضة لاتفاقات أوسلو باعتبارها شذت عن هذا المبدأ، وفتحت المجال امام حكومات عربية لتوقيع معاهدات سلام منفردة مع الاسرائيليين، ونحن هنا نتحدث عن غالبية الشعب الفلسطيني، وفصائل المقاومة الاساسية، مثل حماس والجهاد الاسلامي والجبهة الشعبية، ولجان المقاومة، وكتائب ابو الريش، وكتائب شهداء الاقصى وغيرها.

ولذلك كان رد الفعل الشعبي الفلسطيني عنيفاً على تصريحات السيد محمود عباس رئيس السلطة الفلسطينية الذي رفض أية علاقة بين المسارين اللبناني والفلسطيني بشأن التفاوض على اطلاق الاسرى، وقال ان الفلسطينيين سيتفاوضون على الافراج عن اسراهم فقط.

ندرك جيدا ان ظروف خطف الجنديين الاسرائيليين من قبل حزب الله مختلفة عن ظروف اسر الجندي الاسرائيلي من قبل فصائل المقاومة الاسلامية في قطاع غزة، مثلما ندرك ان قطاع غزة مساحته صغيرة لا تزيد عن 150 ميلا مربعا ومحاصر من كل الاتجاهات البرية والبحرية والجوية، وبدون اي عمق عربي صديق. ولكن يظل توحيد المسارين بشأن الاسرى، عملاً وطنيا يصب في مصلحة المواجهة مع الاسرائيليين، ويرفع المعنويات، علاوة على امكانية استثماره بشكل اكثر فاعلية للافراج عن اعداد اكبر من الاسرى.

الفلسطينيون لم يفرقوا مطلقاً بين اسير لبناني او عربي او فلسطيني، وطالبوا في كل عمليات تبادل الاسرى السابقة، بالافراج عن العرب واللبنانيين منهم خاصة قبل الافراج عن الفلسطينيين.

وربما يفيد التذكير بان الجبهة الشعبية القيادة العامة بقيادة السيد احمد جبريل نفذت عملية تبادل للأسرى في 1995/5/20 حملت اسم «عملية الجليل» وتمكنت من خلالها من الافراج عن 1150 أسيرا اغلبيتهم الساحقة من ذوي الاحكام العالية، وممن نفذوا عمليات عسكرية ضخمة، وكان على رأس الاسرى المفرج عنهم المناضل الاممي الياباني كوزو هوكاموتو منفذ عملية مطار اللد الشهيرة.

والأهم من ذلك ان هذه العملية شملت الافراج عن 220 اسيرا لبنانيا من شتى الانتماءات السياسية، من حركة «امل» والحزب الشيوعي، والحزب التقدمي الاشتراكي وحزب الله، وبعض هؤلاء الاسرى المحررين اصبحوا نوابا عن حزب الله في البرلمان اللبناني، وكذلك وزراء في الحكومة. وقد ماطلت اسرائيل لاستثناء اللبنانيين من عملية التفاوض مما ادى الى اطالة امدها، ولكن الجبهة الشعبية اصرت على الافراج عن هؤلاء قبل الفلسطينيين.

السيد نبيه بري اظهر مواقف وطنية عالية طوال فترة العدوان على لبنان، ولعله يملك حكمة معينة دفعته الى القول بأنه سيتفاوض لاطلاق سراح الاسرى اللبنانيين فقط، ونحمد الله انه تراجع عن هذا الموقف، ونتمنى عليه ان يؤكد في كل مناسبة على وحدة المقاومة في لبنان وفلسطين، ووحدة المسارات التفاوضية المستقبلية بشأن الاسرى.

لمن لا يريد تصديق النصر...

لينا زهر الدين

■ أنظار العالم منصبّة هذه الأيام على متابعة الحرب التي تشنها اسرائيل منذ أسابيع على لبنان، وجميع المحللين (أو على الأقل مَن تابعتهم وانا بحكم عملي مِن المتابعين «الشرسين» للأخبار) والخبراء العسكريين الذين استضافتهم محطات التلفزة العربية والأجنبية حتى الآن يؤكدون أن جنود الجيش الاسرائيلي الذين يشاركون في المعارك الدائرة حاليا في المناطق والقرى الحدودية بين لبنان واسرائيل يواجَهون بمقاومة شديدة قلَّ نظيرُها حتى ذهب أحد الخبراء الى اعتبار أن ما يجري هناك بمثابة المعجزة بالمفهوم العسكري البحت، ذلك أن بضع مئات وفي أحيان كثيرة بضع عشرات من مقاتلي حزب الله يواجهون ألوية النخبة لخامس أقوى جيش في العالم.

كما أن الجنود الاسرائيليين العائدين من أرض المعركة روَوا الكثير من القصص والتجارب التي مرّوا بها في الأيام الأولى من القتال قائلين «ان تلك المواجهات علّمتهم ألاّ يقلّلوا من شأن رجال حزب الله فأصبحوا يشيرون إليهم باحترام كمقاتلين محترفين» والكلام للجنود الاسرائيليين.

والغريب فعلا أن تعترف كبريات الصحف الاسرائيلية بأقلام كتابها ومعلقيها (على رأسها «معاريف» و«هآرتس» مع الاشارة الى الرقابة الشديدة التي تمارسها السلطات الاسرائيلية على التغطية الاعلامية لهذه الحرب) أن تعترف بكل صراحة بانتصار حزب الله وهزيمة اسرائيل في حربها الهمجية على لبنان في حين يرفض كثير من اللبنانيين والعرب «العقلاء» تصديق هذه الحقيقة المبنية على معطيات ميدانية واقعية!

ولست أدري في الواقع ما هو مفهوم النصر أو الهزيمة عند هؤلاء!

أوليس النصر هو صمود حفنة من المقاتلين ـ الذين تسلحوا بايمان رسول الله وأهل بيته ـ لنحو أربعة أسابيع في وجه آلة حربية على درجة عالية جدا من التطور وعدوّ مجهز بأحدث تقنيات التسلّح بحراً وبراً وجواً فيما لم تستطع «جحافل» الجيوش العربية بعديدها وعتادها في حرب الـ67 الصمود لأسبوع كامل في وجه ذات العدو؟!

أليس نصراً تحطيمُ مقولة «الجيش الذي لا يقهر» وتشويه صورته أمام شعبه وأمام العالم؟

أليس نصراً أن يعترف الاسرائيليون بأن استخباراتهم لم تفلح في اختراق حزب الله بشكل يتيح للجيش استخدام كامل قوته في هذه الحرب؟ وبأن أمين عام الحزب السيد حسن نصرالله بات يشكل المتحدي الأكبر للروح الاسرائيلية في هذا الزمن على حد تعبير آري شافيت في صحيفة «هآرتس»؟ ويضيف قائلاً ان نظرية نصرالله بأن اسرائيل مجتمع بيت العنكبوت هي نظرية ستضطر اسرائيل لمواجهتها!

أوليس النصر ألاّ يحقق العدو أهدافه وأن يتمكن حزب الله من خلق توازن رعب يضطر معه العدو الى تغيير استراتيجياته وتكتيكاته لأكثر من مرة؟

أليس جزءاً من النصر أن تُفرز هذه الحرب رأياً عاماً وتظاهرات تعم العواصم العربية والغربية للمطالبة بدعم المقاومة في لبنان وفلسطين؟

أوليس وجهاً من وجوه النصر أن تُنتج حربٌ بربرية كهذه حداً أدنى من الوحدة الوطنية في لبنان على مستوى الشارع والسياسيين؟

ولمن لا يعرف معنى الهزيمة أو طعمها أقول:

الهزيمة يا سادة أن نلعن مَن أراد استرجاع أرضه وتحرير أسراه منطلقا من الحديث الشريف «أن الساكت عن الحق شيطان أخرس»!

الهزيمة هي أن نسلّم أنفسنا ونرهن أوطاننا لدولة متسلطة متجبّرة تسير على مبدأ «فرّق تسد» وما يجري في العراق شاهد، والآتي أعظم!

الهزيمة أن يلجأ عدوك الى الانتقام من الأطفال والأبرياء وارتكاب مجزرة تلو المجزرة بعدما كُسرت شوكته في الميدان وعجز عن مواجهة خصمه في ساحة القتال!

الهزيمة أن تلجأ اسرائيل الى سياسة التجويع والتقطيع والترويع لعدم تحملها رؤية جنودها يفرّون ويختبئون ويصرخون مذعورين في وجه وزير دفاعهم: نحن لسنا أهلاً لمعركة بمستوى مارون الراس وبنت جبيل!

الهزيمة هي أن تأسف لمشاهد القتل والدمار وتشريد العائلات ولا تأسف وتلطم وتبكي على سحق الكرامة واذلال الشعوب واخضاعها لارادة «فرعون العصر» الولايات المتحدة الأمريكية!

الهزيمة هي أن تنظر الى النصر على أنه.... هزيمة!

الأخطر من العدوان هو السلم المشبوه بعده!

مطاع صفدي *

■ المسألة الآن هي: كيف سيصار إلى اختطاف أول نصر عربي رمزي قبل أن يولّد نتائجه الحرة في أكثر من ساحة معنوية ومادية، وعلى أكثر من مستوى أو بُعْد بنيوي واستراتيجي. لا شك أن السياسة هي المخولة أولاً بإنجاز هذه المهمة. وإذا كان الأبطال المقاومون قد أحبطوا عنفوان المعتدين، ولطخوا شرفهم العسكري والأخلاقي بإجبارهم على الفرار من المنازلة الفروسية، والالتجاء إلى حرب المجازر ضد البشر والحجر، فإن الساسة المحليين والدوليين هم الذين كالعادة سيأخذون على عاتقهم تنفيذ أقذر المهمات في التاريخ، بدءاً من سرقة الانتصارات الشريفة من يد فرسانها، وإعمال الغدر والخيانة ما وراء ظهورهم، وصولاً إلى إعادة تسييد ديكتاتورية (المؤامرة المطلقة) الدولية بأدوات الدبلوماسيات الخبيثة، بعد أن تكون الحرب قد فرضت معالمها على خارطة الواقع، بما يغطي الوجه الأصلي لذلك الواقع ومتغيراته.

هنا يأتي أولاً دور اللعب بالمصطلحات اللفظية التي لا بد للدبلوماسية البارعة أن تتقن فنونها في المناورة بالكلمات قبل ترسيخ الأفعال. ولعل العنوان الرئيسي للجولة الراهنة يدور حول الطريقة الخبيثة المنتظرة في تجريد المعركة من آفاقها الوطنية والقومية، وحصرها بين حزب ودولة، بل هناك ما هو أبعد من ذلك، إذ تحرص كل من أمريكا وإسرائيل وأصدقائهما من الحكام العرب، وعبر الغالبية من الإعلام المحلي الإقليمي والأجنبي، على وسم الصراع الدائر كله بالسمة المذهبية، وإلحاقه بالقطب الإيراني، كما لو كانت حرب لبنان قد انقلبت إلى خط دفاع أمامي عن إيران، أو أنها تحولت إلى ساحة تجارب واستعراض لأسلحتها المتطورة من الصواريخ خاصة.

هذا التشويه المنهجي لمعاني الصراع العسكري الراهن لا تقتصر سمومه على لغة الإعلام السائدة. انه أوضح ظاهرة معبرة عن صميم الرهانات الإستراتيجية للمشروع الشرق أوسطي، الهادفة إلى فرض محورية المذهبية وحدها كمحرك مركزي لمختلف المتغيرات السياسية المنتظرة، التي يفترض أنها تغطي جغرافية الوطن مشرقاً ومغرباً. لكن صمود الجبهة اللبنانية عسكرياً وسياسياً طيلة هذه الأسابيع الأربعة الرهيبة، وفي وجه الحرب النموذجية الأفظع في تاريخ المنطقة، بكل ما تستخدمه من أسلحة التدمير الشامل للإنسان والعمران، هو الذي يشكل المفاجأة المصيرية المحبطة لأذكى المخططات العدوانية ـ في عرف أصحابها ـ بل لأكثرها تحللاً من أبسط الأعراف الأخلاقية والقانونية المعترف بها دولياً للحد من تجاوزات الحروب (المشروعة) وارتدادها إلى أشكالها الوحشية الأولى.

لكن إسرائيل قد اتحد تاريخها بذلك الشكل الابتدائي الهمجي للحرب التي اتخذت دائماً منهج العدوان العدمي على المدنيين العزّل من الفلسطينيين. وها هي تتابع عقيدتها القتالية تلك في شن حرب المجازر الجماعية ضد السكان الآمنين في بلدات وقرى الجنوب اللبناني، واقتناص أسهل الفرص لتحويل أضعف البشر من الأطفال والنساء والشيوخ إلى مجرد أكوام من الأشلاء، في الوقت الذي يتحاشى جنودها «الأشاوس» المواجهة المباشرة مع المقاومين في الجبهات، الذين يتصيدونهم بأساليب نصب الأفخاخ الذكية للذئاب المذعورة.

إسرائيل هذه أنشأت نفسها دولة في جيش وليس جيشاً في دولة. وهذه الطبيعة الشاذة في تشكل الأمم فرضت عليها ألا تحمي وجودها إلا بهزم الآخر أو إلغاء وجوده. وبالتالي فإن أخطر ما يتهددها هو أن يتطور عدوها من شعب مهزوم إلى جيش من المقاومين. فهذا الجنوب اللبناني قد ولد ولادته الثانية كجيش من المقاومين، ليس لأنه شيعي المذهب، ولا لكونه حليفاً لهذه الدولة أو تلك كسورية وإيران، بل لقد جعلت منه ظروف العسف الإسرائيلي، خلال سلسلة من الاجتياحات والاعتداءات، طليعة ثورة جديدة، قد تكون مناظرة لثورة فلسطين المستديمة؛ لكن أهميتها الخاصة ستنبع من خطورة المثال والنموذج الذي تطرحه على محيطها العربي ككل. سوف تكسر كل المحرمات التي فرضتها الدول العربية على نفسها وعلى شعوبها، من غير موجب حق أو صواب أو حاجة مصيرية، إزاء قضيتي الصراع مع الصهيونية من جهة، ومع مسارات السياسة العربية الخارجية، واستراتيجية التنمية الذاتية. فلا يمكن بعد الإنجاز المقاوم في لبنان أن يبقى المشهد العربي على حاله كما كان قبله.

حول هذه النقطة بالذات ينبغي فهم المواقف الرسمية المعلنة والخفية للأنظمة، المصاحبة لتطورات العدوان الإسرائيلي، وخيباته المتوالية في تحقيق أي من أهدافه العسكرية والاستراتيجية، هذه الخيبات التي هي بالمقابل عناوين إيجابية مجيدة لم تُقرأ بعد في تاريخ الحروب العربية. وعلى الجيل المعاصر أن يستخلص النتائج المترتبة عليها. وقد يكون الغرب هو أول المنتبهين لمغزى التحول الجذري المتحقق في ميزان القوى. ولذلك ينشط أقطابه في الاشتغال على المصطلح الدبلوماسي الذي سيكون عليه استيعاب هذا المغزى وتحريف حقائقه مقدماً. ليس النقاش الدائر خاصةً بين الثلاثي: شيراك بلير بوش، لينطوي على أية اختلافات جذرية في المبادئ.

وإن كان الرئيس الفرنسي له دائماً مطالعته الخاصة.ولقد أوضح منذ البداية أن القوى الدولية المتدخلة ينبغي ألا تكون أطلسية. وهو الذي أعاد إلى الأذهان فجأة أن العرب يعتبرون حلف الأطلسي هو بمثابة الذراع العسكرية الضاربة للغرب. هذا لا يعني أن ضفتي الأطلسي ما زالتا مفترقتين منذ الاختلاف حول مسألة الحرب على العراق. بل ربما نجح بوش في إعادة زميله، (خصمه الثقافي)، شيراك إلى الحظيرة تحت اليافطة العريضة التي اخترعتها أمريكا وخطت عليها بالبند العريض عبارة: الحرب العالمية على الإرهاب. وهي الترجمة المراوغة لنظرية صراع الحضارات. إذ لا بد أن يُخترع الخصم حضارياً أولاً كيما تُوجه ضده كل الحروب الثقافية والاقتصادية، والعسكرية في النهاية، أو منذ البداية.

كل الجهد الدولي قبل قرار وقف العدوان، وخلاله وبعده، ينصب على الصيغ المبتكرة التي تلوي عنق الواقع. ليس هناك ذلك (الغرب) المختلف بل المؤتلف، لكنه المتباين حول أنجع النصوص الموصلة إلى الخاتمة الواحدة بالنسبة للجميع. ما ليس مقبولاً لدى أفرقاء المجتمع الدولي، أو أصحابه الغربيين حصراً، أن يُقام أي توازن بالقوى بين المعتدي والمعتدى عليه، وإلا لانتفت علاقة العدوان هذه بينهما. وهو الأمر الذي ينبغي ألا يحدث أبداً في العلاقة ما بين الكيان الذي هو دولة في جيش، وبين قارة هائلة كاملة من أمم الحضارات المؤسسة الأولى والدائمة لما يسمى بمدنية الإنسان، هذه التعويذة السحرية المغدورة في كل تجاربها الماضية، لكن ما أن يُكتب لها النصر ولمرة واحدة فقط، حتى تصير المعمورة وطن الحريّة والحقيقة، وتنسى أنها كانت غالباً لعصر الديناصورات الإنسانوية البائدة.

في (زاوية الرأي) هذه كنا تحدثنا عن مفهوم آخر للمؤامرة المطلقة، بهدف تنظيفها ولو قليلاً، من عبثيات التداول الإعلاموي ضدها ومعها. ونقول الآن إن عدوان إسرائيل على لبنان العربي، ومن ثم على عروبة وإنسانية مقاومته، وبحجة القضاء على حزبها الطليعي الجديد، هذا العدوان الوقح البربري مثلما كان نسخةً متطورةً عن فن القتل الجماعي للبشر والتصحير الحضاري لأرض البشر الآمنين.. ذلك الفن الجهنمي الذي يشكل صلب المؤامرة المطلقة وسبب وجودها العملياتي أساساً، كذلك فإنه من الأهمية القصوى أن تسارع إلى إلقاء القبض على النتائج الحارة المرسومة على تخوم ميادين القتال قبل أن تتفاعل تداعياتها الجيوسياسية في أنحاء الجغرافية التقليدية التي رست عليها هزائم الصراع العربي الإسرائيلي منذ عقود.

الأخطر من مؤامرة العدوان هي المؤامرة القادمة على نوع السلم المجهول الذي سيعقبها.

* مفكر عربي مقيم في باريس

المقاومة في زمن الاحتلال فعل حضاري راق

يحيى اليحياوي *

■ ليست المقاومة (مقاومة الاحتلال تحديدا في هذا المقام) ترفا أو مقامرة ولا هي (ولا كانت يوما) خيارا ذاتيا أو معطى عفويا سرعان ما يضمر وتتلاشى خيوطه بضمور ما في المشروع (مشروع المقاومة) أو تلاشٍ ما من لدن القائمين عليه جراء الضغط أو تشديد الخناق أو المحاصرة أو التضييق.

المقاومة حالة اجتماعية عارمة، وبالوقت ذاته حالة نفسية يكون للمقاوم بموجبها القابلية على وضع روحه بين يديه فما بالك بمعيشه اليومي أو معيش أهله وذويه. والسبب في ذلك لا ينحصر أصلا في كونه (المقاوم أقصد) يستهين بروحه أو بقوت صغاره، ولكن اساسا كون الذي يدفع به ويقدمه قربانا له إنما يتجاوز النفس والمعيش ليطال جانبي الحرية والكرامة اللذين لا يقلان عن النفس والمعيش قيمة ولا إلحاحية.

وإذا كان من المزايدة الخالصة حقا الادعاء بأن زمن المقاومة (المسلحة تحديدا) قد ولى بسبب اختلاف الأزمان وتباين الظروف و«استحالة» هزم المحتل المدجج بالتكنولوجيا الحربية المتطورة والأقمار الصناعية الملتقطة للمتناهي الصغر والطائرات الموجهة بالحواسيب، فإنه من المزايدة الخالصة أيضا القول بإمكانية قهر المقاومة (أية مقاومة) إذا كانت مسنودة بفكرة ومرتكزة على تصور وحتمية، فضلا عن كل هذا وذاك، بشرائح عريضة من المجتمع تستهجن الاحتلال وتتقزز من تواجده فما بالك إن كان عدواني الطبع، استفزازي السلوك، غير مكترث بأخلاق الشعب المحتل ولا مبالياً بتميز عاداته وتقاليده!

ليس ثمة من شك إذن أن المقاومة ثقافة بامتياز ناهيك عن كونها فعلا حضاريا راقياً وإلا فما معنى أن تعترف لها الديانات والقوانين الوضعية بالمشروعية والشرعية ووجوب السلوك كائنة ما تكن فلسفة الجهة الثاوية خلفها المتبنية للعمل المسلح كما الدافعة بالبعد المسالم كما العاملة على المزاوجة بينهما عبر خلق الأجنحة المختصة أو التوزيع المبطن للوظائف والأدوار.

ولما كانت كذلك (أو هكذا تبدو لنا)، فإن من الشروط الموضوعية لاستمراريتها وضمان النفس الطويل من بين ظهراني عناصرها (أفرادا وتنظيمات) إنما ضرورة ارتكازها على «بنية مادية» تضمن لها الحد الأدنى في البقاء وتؤمن لها سبل الحماية المعنوية التي لا مقاومة بدونها أو بعدم توفرها.

المقاومة ليست دولة قائمة (حتى وإن كان ذات الحلم يراودها عندما يندحر الاحتلال) بإمكانها فرض جبايات أو تحصيل إتاوات أو الحصول على مداخيل» سلطانية» تتأتى لها بقوة النار والسلاح. وهي ليست حزبا أو طائفة أو ميليشيا تستجلب مصادر تمويلها من الاشتراكات أو من التبرعات أو من تقاسم لمصادر الغنيمة مع هذا الطرف أو ذاك. هي أبعد عن أن تكون هاته أو تلك، ليس فقط كونها مشروعا تحريريا (تطوعيا في جانب كبير منه)، ولكن أيضا لأنها لا تبني اقتصادها على المصادر «المستجدة» التي تعتمل بداخل اقتصادات الدول المستقلة أو القائمة:

ـ فهي راهنت و تراهن، في اقتصادها، على التقشف الصرف في تدبير ما وفرته من موارد عندما تبين لها أن «زمن الاحتلال» قادم لا محالة فوجب التهيؤ له والاستعداد لمواجهته كما كان الحال مع المقاومة العراقية التي رتبت قبليا لما كانت مقتنعة بأنه آت... فأتى حقا بمجرد انقضاء اليوم التاسع من نيسان (ابريل) من العام 2003.

ـ وهي راهنت، ولا تزال تراهن، على كبرياء أبنائها (المقاتلين بالبندقية كما المرابطين حول الحرمات) على «شد الحزام» (كما هو الحال المشترك بين المقاومة العراقية والمقاومة بفلسطين). فإن تحصلت لهم وجبة أكل استحبوها ووجهوا مقابل الوجبتين لتقوية عضد المقاومة وإن لم يتسن لهم ذلك اعتبروه ثمن المقاومة أو في أخف الأحوال تضامنا معنويا معها.

ـ وهي راهنت، ولا تزال تراهن، على ما توفر لها من سلاح بدائي (بالأجساد في الغالب الأعم) أو ما اغتنمته من قوى الاحتلال أو ما تسنى لبعض الجيران تسريبه لها أو تمريره لبعض من عناصرها خفية ودونما أوساط إعلامية قد تفسد عليها النهج.

ولئن بات الحال (بفلسطين كما بالعراق) يشي بمهادنة معلنة (حالة العراق) أو مضمرة (حالة فلسطين) لبعض من «ابناء الوطن» لقوى الاحتلال اعتبارا لتقاطع المصالح أو كنية في مقاومة يدعون أن ولاءها لهذه الجهة أو تلك، فإن واقع الحال يشي أيضا بأن ذلك إنما اضحى عنوان المانعة الأساس المرفوع بوجه المقاومة بالعراق كما بفلسطين:

ـ فالقوى السنية المحسوبة تجاوزا على المقاومة العراقية (فما بالك بالقوى المتحالفة أصلا مع الاحتلال) لم تعد تحيل في مرجعياتها الخطابية على المقاومة، بل اضحت جزءا من عملية سياسية ثوت خلفها ورتبت لها قوى الاحتلال (وادعت أنها المدخل «لديمقراطية العراق الجديد») واعتبرت بالتالي أن ما تقوم به المقاومة إنما يجد تجسيده في حالة الحصار والتدمير والتخريب التي يتعرض لها الشعب العراقي، في حين (تقول ذات القوى) أن اللجوء للمقاومة السلمية أولى وأفيد وأقل ضررا.

لا تستقرأ أحداث المعيش اليومي هنا (قطع الكهرباء والماء، انقطاع الناس عن مزاولة نشاطهم، تعذر التزود بالمواد الطاقية الأساس وما سوى ذلك)، لا تستقرأ في كونها جزءا من سلوك للاحتلال يود من خلاله تشويه صورة المقاومة، بل وأيضا للتمويه بأن الذي جرى ويجري إنما سببه المقاومة وليس الاحتلال. وهو أمر يجانب الصواب ولا يقترب من حقيقة المجريات على الإطلاق.

ـ وحكومة حماس (حكومة الشعب الفلسطيني أقصد) لا تستقرأ إجراءاتها في كونها جزءا من اقتصاد مقاوم يتغيا قطع الانفصام مع اقتصاد الاحتلال وبناء اقتصاد يعتمد القدرات الذاتية، بل يعتبر (من لدن مناوئيها من حركة فتح تحديدا) تجويعا للشعب وقطعا لأرزاق مواطنية العاملين بإسرائيل وتجاوزا (يقول هؤلاء) على «حقيقة أن الاقتصاد الفلسطيني اقتصاد معونات خارجية بامتياز».

لم ينحصر الأمر عند هذا الحد، بل ذهب لدرجة مصادرة أموال (متبرع بها) أتى بها أعضاء من حركة حماس لتسديد رواتب موظفي «السلطة» فإذا بهم يقتادون لمخافر الشرطة تماما كمهربي العملة أو المتهربين من الضرائب أو الباحثين عن سبل الاستثمار الريعي.

وإذا كان القول بأن إدخال بعض من المال للشعب الفلسطيني (عبر المعابر) دونما علم للسلطة هو «مخالفة قانونية» تستوجب العقاب، فإنه من الغباء حقا (والحيف أيضا) تصنيف عناصر حماس ضمن المهربين أو اعتبار بحثهم عن مصادر القوت لأبناء طينتهم ضربا من ضروب التجاوز على القانون.

عن أي قانون يتحدث هؤلاء وهم يعلمون أن من بينهم من باعت شركاته الإسمنت لبناء الجدار العازل علنا وجهارة؟ وعن أي قانون يتحدثون وهم يعلمون علم اليقين أن ربط الاقتصاد الفلسطيني بالاقتصاد الإسرائيلي قد جعل الأول رهينة للثاني وجعل الفلسطينيين مجرد مستهلكين لبضائع إسرائيل؟

ليس من الطوباوية في شيء المطالبة ببناء اقتصاد للمقاومة بالعراق كما بفلسطين (موازٍ للاقتصاد «الرسمي»)، وليس من نسج الخيال الاعتقاد بضرورة قطع سبل التعامل مع الاحتلال. ليس ذلك طوبى ولا نسج خيال، بل هو المدخل الأساس للتحايل على اقتصاد الاحتلال ومحاصرته من حيث لا يدري...

* باحث وأكاديمي من المغرب

القدس العربي

يومية سياسية مستقلة

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:

الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو

هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ

فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208

مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)

مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)

مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.

هاتف/فاكس: 5066089 (9626)

مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi

daily Independent News Paper

Published In London,
New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi
Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East,
North Africa and North America.

Editor In Chief

ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England

Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637

email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***

Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).

Tel/Fax: (202) 3901523

Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco

Tel/Fax: (212 37) 770594

Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.

Tel/Fax: (9626) 5066089

Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364